تصريف كلمة "فاطر" في القرآن الكريم ومدلولاتها

د. خالد محمد كارة

محاضر/ عضو هيئة تدريس بكلية العلوم والتقنيات الطبية طرابلس

مقدمة

الحمد لله لذي فطرني وإليه النشور، أحمده خلق سبع سماوات طباقا ما نرى فيها من فطور، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له فاطر الأرض والسموات، الخالق المصور العفو الشكور، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أخبرنا بأن الله خلقنا على الفطرة السوية، وهو بنا رؤوف، ولنا غفور، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا بالعشي والبكور.

أما بعد:

فبعد استخارة الله، واستشارة لمن هم أهل لها قررتُ أن أكتب وريقات في معاني لفظ "فاطر" في القرآن الكريم، ذلكم اللّفظ الذي ورد عشرين مرة في الكتاب العزيز بمعان متعددة، وأنا على يقين أني لن أوفي هذا اللّفظ قدره، ولن أستوفي معانيه، وأنّى لأحد أن يحيط بألفاظه، وهو كتاب الله الحكيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يستطيع مقارعة فصاحته البلغاء.

ولا شك أن لكل باحث هدفاً له من بحثه، وهدفي هو:

1 ـ ابتغاء رضوان الله Φ، واحتساب الوقت الذي استغرقه منّي في سبيل الله X.

2 ـ التعرف على الإعجاز القرآني في تصريف الألفاظ، وتقريب معاني اللفظ الواحد للمسلم.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي، وقسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة كانت كارّةً على ما سبقها، فأجملتُ فيها، ما فُصل قبلها، وأودعتُ فيها توصية لي ولطلاب العلم الشرعي، لعل الله Δ أن ينفع بها من قرأها، ثم ختمت البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

والله أسال أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

لمطلب الأول:

دلالة اللّفظ "فاطر" ومعناه وصيغه، والسور التي ورد فيها وآياتها

أولاً: الصيغ التي ورد بها اللفظ "فاطر" في القرآن:

إن من إعجاز القرآن البياني، ورود لفظ واحد بصيغ متعددة، تحمل معاني متنوعة، وهي في نفس الوقت لا تبتعد عن المعنى الأساس لجذر الكلمة، فسبحان الله الذي أنزل كتاباً تتجدد معجزاته ـ في كل مجالاتها ـ جيلاً بعد جيل.

لقد ورد الجذر "فطر" في القرآن الكريم عشرين مرة، تنوعت فيها ألفاظه، وتصرفت فيها معانيه، فجاء على أربعة أوجه:

جاء بمعنى ابتداء الخلق، وإنشائه، وجاء بمعنى الخِلْقة والسجية والطِباع، وجاء بمعنى الشقّوق، والصدوع، والعيوب، وجاء بمعنى الانفجار والانشقاق المُفاجئ.

الصيغ التي ورد بها: (فَطَرَ ـ فَاطِر ـ فَطَرني ـ فَطَرنا ـ فَطَركم ـ فَطَرهُنّ ـ فِطْرَت ـ انْفَطَرت ـ يتفَطَّرْن ـ مُنْفَطر ـ فُطُور).

ثانيا: السور التي ورد فيها تصريفات الجذر "فطر" وآياتها:

1 ـ جاء في سورة الأنعام، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1].

2 ـ جاء في سورة الأنعام، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[2].

3 ـ جاء في سورة هود، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[3].

4 ـ جاء في سورة يوسف، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)[4].

5 ـ جاء في سورة إبراهيم، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[5].

7 ـ جاء في سورة الروم، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[6].

8 ـ جاء في سورة الإسراء، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)[7].

9 ـ جاء في سورة مريم، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)[8].

10 ـ جاء في سورة طه، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)[9].

---

[1]) سورة الأنعام الآية 14.
[2]) سورة الأنعام الآية 79.
[3]) سورة هود الآية 51.
[4]) سورة يوسف الآية 101.
[5]) سورة إبراهيم الآية 10.
[6]) سورة الروم الآية 30.
[7]) سورة الإسراء الآية 51.
[8]) سورة مريم الآية 90.
[9]) سورة طه الآية 72.

11 ـ جاء في سورة الأنبياء، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)[10].

12 ـ جاء في سورة فاطر، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[11].

13 ـ جاء في سورة يس، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[12].

14 ـ جاء في سورة الزمر، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[13].

15 ـ جاء في سورة الشورى، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[14].

16 ـ جاء في سورة الشورى، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[15].

17 ـ جاء في سورة الزخرف، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)[16].

18 ـ جاء في سورة المُلك، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ)[17].

19 ـ جاء في سورة المزمل، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا)[18].

20 ـ جاء في سورة الانفطار، وهي سورة مكية، عند قوله ﷻ: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)[19].

والملاحظ أن كل السور التي ورد فيها هذا الجذر هي سور مكية، ذلك أن معاني كلمات كلها تدور حول الخلق وابتدائه، أو حول الإعجاز والإبداع في خلقه، أو حول هولٍ من أهوال القيامة، وكيف أن هذه السماء التي أبدع الله خلقها فلا نرى فيها فطور، كيف تنفطر بأمر الله وقدرته.

وكل هذه الأشياء يحتاج الكافر أن يُنبه إليها، وأن تقرع أذنيه مثلها، علّه يؤوب إلى ربّه ويرجع، وهذا ما يمتاز به القرآن في العهد المكيّ، الدعوة لتوحيد الله، والاستدلال عليها، وإقرار عقيدة البعث والجزاء.

---

[10]) سورة الأنبياء الآية 56.
[11]) سورة فاطر الآية 1.
[12]) سورة يس الآية 22.
[13]) سورة الزمر الآية 46.
[14]) سورة الشورى الآية 5.
[15]) سورة الشورى الآية 11.
[16]) سورة الزخرف الآية 27.
[17]) سورة المُلك الآية 3.
[18]) سورة المزمل الآية 18.
[19]) سورة الانفطار الآية 1.

ثالثاً: معنى الجذر فَطَرَ:

فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفَطَّرَه: شقَّه. وتَفَطَّرَ الشيء: تشقَّق. والفَطْر: الشَّق، وجمعه فُطُور أي شقّ، وأصل الفَطْرِ: الشق طولا، وشقّ الشيء عند ابتدائه[20]، وقد فطَرْتُه فانفَطَر انفِطَارًا؛ وانْفَطَر الشيء، وفَطَر، وتَفطَّر: انشقّ، والفُطُور الشقوق، والصدوع[21].

وفَطَر الشيء أنشأه، وبدأه، وفَطَرَ الله الخلق أي أوجده وأبدعه على هيئة لا مثيل لها، والفِطْرُ ترك الصّوم. يقال: فَطَرْتُهُ، وأَفْطَرْتُهُ، وأَفْطَرَ هو[22].

وفاطِر اسم فاعل من فَطَر، والله فاطِرُ السماوات والأرض أي مبتدعها ومنشئها من غير مثال احتذاه. وفَطَرتُ البئر: حفرتها. قال ابن عباس : "كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أي ابْتَدَأْتُهَا"[23] أَي: أن الأعرابي احتج بحقه في البئر بأنه هو من شقّها وابتدأ حفرها.

وفَطَرَ ناب البعير: أي طلع، وشقَّ المَوضِع الذي طلَع منه[24]. وانْفَطَر الثوب وتفَطَّر، إذا انشقّ، وكذلك تفطّر. وتَفَطَّرتِ الجبال والأرض: انْصدعت. وتفَطَّرت يده، أي: تَشقَّقَت، وتفَطّرت قدماه، أَي: انشقتَا، ومنه أُخذ فِطْرُ الصَّائم؛ لأنه يفتح فاه. وتَفَطَّرت الأرض بالنبات: إذا انصدعت، والفُطْر: مَا تَفَطَّر من النبات، والفُطْر كذلك: جنس مِنَ الكَمْءِ[25]، سُمي بهذا الاسم؛ لأَن الأَرض تَنْفَطر عنه، ومُفرده فُطْرةٌ[26].

قال الزجاج: فإن قِيل: "فكيف يكون الفَطْرُ في معنى الخَلْق والانفطار في معنى الانشقاق؛ فإنهما يَرْجِعَان إلى شَيءٍ واحد؛ لأن معنى فطرهما خَلقهما خلْقاً قاطعاً، والانْفِطَار والفُطُورُ تقَطع وتشقق"[27].

ونقل النيسابوري عن ابن الأنباري قوله: "أصل الفطر الشق، وقد يكون شق إصلاح كقوله: (فاطِرِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ)[28] أي خالقهما ومنشئهما، بالتركيب الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضمه بعض الأشياء إلى بعض، وقد يكون شق إفساد ومنه قوله تعالى: (هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ)[29] (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ)[30]"[31].

والْفِطْرَةُ الْخِلْقَةُ وهي من الْفَطْرِ، كَالْخِلْقَةِ مِنْ الْخَلْقِ في أنها اسم للحالة، ثم جُعلت اسماً لِلْخِلْقَةِ المقابلة لدِين الحقِّ قالﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ"[32]

---

[20]) تفسير الرازي 12/ 489.

[21]) ينظر غريب القرآن لابن قتيبة، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، ولسان العرب مادة فطر.

[22]) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني مادة فطر.

[23]) رواه البيهقي في شعب الإيمان باب طلب العلم 211/3 رقم 1559، وابن عبد البر في "التمهيد" 18/ 78.

[24]) ينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث باب الفاء مع الطاء.

[25]) هو نوع من أنواع الفطر ويُسمى عندنا بليبيا باسم "الترفاس".

[26]) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب مادة فطر.

[27]) معاني القرآن وإعرابه 233/2.

[28]) سورة فاطر من الآية1.

[29]) سورة الملك من الآية3.

[30]) سورة الانفطار الآية 1.

[31]) تفسير النيسابوري 54/3.

[32]) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة I قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)" كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ 94/2

والفِطْرة كذلك ملّة الإسلام نفسها؛ لأنها حالة من أحوال صاحبها، قال : "فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ"[33].

والفِطْرة تكون بمعنى السُنّة كذلك قال ﷺ: "عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ..."[34] قال البغوي: "فسّر أكثر أهل العلم «الفِطْرَة» في هذا الحديث أنها السُّنة"[35] وحكاه الخطابي أيضا عن أكثر أهل العلم[36]، واستدلوا على هذا المعنى، بذِكر المضمضة والاستنشاق في الحديث، وبرواية أخرى للحديث بلفظ "عَشْرٌ مِنَ السُّنَّةِ"[37].

والفِطْرة كذلك صدقة الْفِطْرِ، فقول الفقهاء: "تجب الفِطْرة" هو على حذف مضاف، والأصل تجب زكاة الفِطْر، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه، واستُغني به في الاستعمال، لفهم المعنى[38].

وجمع فِطْرَة: فِطْرات، وفِطَرَات، وفِطِرَات، وفَطَرْت إصبع فلان أَي ضربتها فانفطرت دمًا.

والفَطْر للصّائم، وَالِاسْمُ الفِطْر، والفِطْر: نقيض الصوم، وقد أَفْطَرَ، وفَطَر، وأَفْطَرَهُ، وفَطَّرَه تَفْطِيراً. ويقال: فَطَّرت الصائم فَأَفْطر، والفَطُور: ما يَفطر عنه[39].

وللفظ الفَطْر معنى آخر غير معنى الشق، وهو الإخراج من العدم إلى الوجود، كأنه شق عنه فظهر، فأصل الباب الشق، ومع الشق الظهور، ومن ثم قيل: تفطّر الشجر إذا تشقق بالورق، وفطَر الله الخلق أظهرهم بإيجادهم إياهم كما يظهر الورق إذا تفطّر عنه الشجر، فهو يحمل معنى الإيجاد والإظهار[40].

المطلب الثاني:

مجيئه بمعنى ابتداء الخلق، وإنشائه.

الله ﷻ هو خالق الكون، وباريه، ومنشئه من العدم، فهو فاطر السموات والأرضين ومن فيهن، لذلك فقد وصف الله نفسه بأنه الذي فطرنا، وفطر لنا السموات والأرض، وسهل لنا العيش عليها.

وقد جاء "فاطر" بمعنى الخَلْق والإنشاء في ستة مواضع.

الموضع الأول:

في سورة الأنعام، عند قوله : (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[41].

رقم 1358.

[33]) روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب، أن النبي ﷺ أوصى رجلا، فقال: "إِذَا أَرَدْتَ مَضْجَعَكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَا وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ" كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام 69/8 رقم 6313.

[34]) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ـ باب خصال الفِطْرة 223/1 رقم 261.

[35]) شرح السنة ـ باب السواك 398/1.

[36]) ينظر: طرح التثريب في شرح التقريب 72/2.

[37]) رواه النسائي في سننه الكبرى كتاب الزينة ـ باب الفطرة 310/8 رقم 9243، والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير باب سُنن الوضوء 259/1 رقم 75.

[38]) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، والمصباح المنير مادة فطر.

[39]) ينظر: لسان العرب مادة فطر.

[40]) ينظر: الفروق اللغوية ص134.

[41]) سورة الأنعام الآية 14.

فاتخاذ الله وحده رباً ومولى ومعبوداً يدين له العبد بالعبودية ويخضع له، ويقدم أمره على أمر غيره، واتخاذه ناصراً يستنصر به، ويعتمد عليه، ويتوجه إليه في الملمات لهي من أولويات العقيدة.

فإما إخلاص الولاء لله، وإما إشراك غيره معه، ولا يجتمعان في قلب مؤمن، وقد خاطب الله E منطق الفطرة القوي العميق الذي لا ينكره من له أدنى عقل عندما ذكّر المخاطبين بقوله (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ولم يقل خالق السموات، فلمن الولاء إن لم يكن لفاطر الأرض والسماء، الذي خلقهما وأنشأهما؟ لمن الولاء إن لم يكن لرازق من في الأرض والسماء، الذي يُطعم ولا يطلب طعاماً.

لذلك وجّه الله نبيّه محمداً والخطاب لأمته من بعده، قل لهم يا محمد، قل لهؤلاء المشركين بربهم، العادلين به الأوثانَ والأصنام، قل للمنكرين عليك إخلاص التوحيد لله، قل لأولئك الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان، يَدّعون أنها تقربهم إلى الله زلفى: أشيئاً غيرَ الله ـ تعالى ذِكْره، وجلّ شأْنه ـ أتخذ وليّاً، أغير الله أتخذ رباً، ومعبوداً، وناصراً، ومعيناً[42].

أأعدل عن اتخاذ الله وليّاً ونصيرا، ومعاضدا، ومؤيدا، وأتخذ أحجارا لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ما لكم كيف تحكمون؟

فلا يمكن أن أتخذ وليّا ومعتمدا، أعتمد عليه، وأستعين به، غير الله E ذي الحول والطول، وذي القدرة التي لا يعجزها شيء[43].

والنكتة البلاغية في دخول همزة الاستفهام على مفعول اتخذ لا عليه؛ لأن ذلك موضع الشناعة عليهم في الاستنكار؛ وموضوع الغرابة والإنكار، أن يكون غير الله متخذا وليا، لا في اتخاذ الولي نفسه[44].

والولي: هو الناصر والمعبود والمدبر للأمور كلها، ففيه معنى الحياة والقيومية، والعلم والقدرة، ولما كان الإله هو الذي يرجع إليه عابده سُمي وليا لذلك، ومن أسمائه تعالى الولي[45].

فالولاية الحق هي لله وحده، فلا يُسْتنصَر إلا الله، ولا يُعين العبد سواه، ولا يُعبد إلا إياه، واتخاذ أي ولي من دون الله، أو مع الله تركٌ لولاية الله وعدم اتخاذه وحده وليا ونصيرا هو من الإشراك في ذات الله وعبادته[46].

والولي الذي ينصر ويُعين، الذي يُعبد ويُلتجأ إليه، لا بد أن تتوافر فيه القدرة التي لا يعجزها شيء، تلكم القدرة التي كان من صنعتها هذا الوجود كلّه، في سماواته وأرضه، أوجدهما E وخلقهما ابتداء على غير سبق، وابتداعهما على غير مثال يحتذى.

فهو فاطرُ السموات والأرض أنشأهما وأنشأ من فيهما، وما فيهما، وهو ملك السموات والأرض، ومن فيهما من إنس، وجن وملائكة وغير ذلك، وهو المسيطر عليها ليلا ونهارا، وهو الذي يُطعم خلقه ويسقيهم، ولا يحتاج E إلى طعام ولا لشراب، فهو الأحق بأن يكون معبودا ووليا، ناصرا ومُعينا، لا أولئك الآلهة الباطلة الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرّا، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، ومن باب أولى لن يستطيعوا توفير هذه الأشياء لغيرهم[47].

---

[42]) ينظر: الطبري 282/1 - 283.
[43]) ينظر: التفسير القرآني 140/4.
[44]) ينظر: زهرة التفاسير 2452/5، وتفسير النسفي 494/1.
[45]) ينظر: التحرير والتنوير 156/7.
[46]) ينظر: زهرة التفاسير 2452/5.
[47]) ينظر: التفسير القرآني 140/4، وزهرة التفاسير 2452/5.

فعظّم نفسه ﷻ ليُعرف توحيده بصُنْعه، واستدل على ولايته بأنه هو من أوجد هذا الكون وأنشأه ومن فيه من العدم[48].

فهو فاطر السماوات ومبدعها من غير عمد، وهو فاطر الأرض وزينها بالخضرة والبحار والأنهار وارساها بالجبال، فكيف يُترك خالق هذا الكون وتُطلب الولاية من مخلوقات ضعيفة، واستدل كذلك بأنه هو من يرزق ويُطعم حتى تستمر الحياة، فالخلق محتاجون إليه لبقائهم، مفتقرون إليه لاستمرارهم.

والجمهور قرأوا "فاطِرِ" بالجر على أنها نعت للفظ الجلالة "الله"[49]، وقال أبو البقاء: "وجره على البدل من اسم الله"[50] نظراً لخِفّة الفصل بين البدل والمبدل منه، بين النعت والمنعوت[51] وقرأ ابن أبي عَبْلة برفع الراء على إضمار هو[52]، وقرئ شاذا بنصب الراء، وخرّجه أبو البقاء على أنه صفة لولي على إرادة التنوين، أو بدل منه، أو حال، والمعنى على هذا أجَعل فاطر السموات والأرض غير الله[53]، ورجح أبو حيان، والبيضاوي نصبه على المدح، وقرأ الزُّهري فَطَرَ جعله فعلا ماضياً[54].

الموضع الثاني:

في سورة يوسف، عند قوله : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)[55]

بهذه الابتهالات، وتلكم التسابيح، يستقبل يوسف الصديق هذه النعم التي أنعم الله بها عليه، حيث أنجاه من محنة امرأة العزيز، وكيد النسوة له، وبرّأه مما نسب إليه، وأخرجه من السجن، وقبل ذلك، خلّصه من شدة الإلقاء في الجُب، ثم جمعه مع إخوته وأبويه، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة، ومكّنه في الأرض[56].

يناجي ربّه الذي فطر السموات والأرض، يناجيه متجردا من كل شيء، نافضاً عنه كل شيء، متجها إليه ومبتهلا في انكسار وخشوع، متوجهاً إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر، فيحدّث بنعمة ربّه، ويسبّحه بها، ويحمده عليها، ويستزيده من فضله، كل دعوته ـ وهو في أوج سلطانه ـ بأن يتم تلك النعمة عليه، فيتوفاه على دين الإسلام، وأن يلحقه بالصالحين من عباده، فذلك هو الذي يجعل لتلك النعم مساغا في فمه، وطعما هنيئا في حياته[57].

فذكر ثلاث نعم: اثنتان دنيويتان وهما: نعمة الولاية على الأرض، ونعمة العلم، والثالثة: أخروية وهي نعمة الموت على الدين الحق دين الإسلام، فدعا ربّه أن يجزل الله له ثواب الآخرة، كما أجزل له العطاء في الدنيا[58].

---

48) ينظر: تفسير مقاتل 252/1.
49) ينظر: معاني القرآن للأخفش 294/1.
50) التبيان في إعراب القرآن 483/1.
51) ينظر: البحر المحيط 452/4.
52) ينظر: الكامل في القراءات ص538.
53) ينظر: التبيان في إعراب القرآن 483/1.
54) ينظر: تفسير البيضاوي 156/2، والبحر المحيط 452/4.
55) سورة يوسف الآية 101.
56) ينظر: تفسير المراغي 43/13، والتفسير الواضح 205/2.
57) ينظر: التفسير القرآني 50/7.
58) ينظر: التحرير والتنوير59/13.

فيتوجه يوسف لربّه قائلا: يا ربّ قد عودتني الجميل، وآتيتني ملك مصر، سلطانه ومكانه وجاهه وماله، وجعلتني متصرفا فيها بالفعل وإن كان لغيري بالاسم، ولم يكن لي فيها حاسد ولا باغ إذ أجريت الأمور على سنن العدل ووفق الحكمة والسداد، وعلمتني الشيء الكثير ـ وإن كان قليلاً إذا قِيس مع كلّ العلوم ـ مما أعبر به عن مآل الحوادث، وتفسيرها، وتعبير رؤاها، تعبيرا صادقا بتوفيقك وإحسانك، فتقع كما قلت وأخبرت، وأكرمتني بنفاذ البصيرة، وصدق الفراسة، والوقوف على أسرار كلامك[59].

فـ "مِنْ" هنا ليست للجنس، بل هي للتبعيض، إذْ أن يوسف لم يعط ملك الدنيا كلها، بل أوتي بعض ملك الدنيا، وهو كذلك لم يحط بالعلم كله، بل أوتي بعض التأويل، فملك مصر ما كان كل الملك، وعلم التعبير ما كان كل العلوم[60].

ثم ينادي ربه، ويتوسل إليه بصفة من صفاته فيقول: يا رب يا فاطر السموات والأرض وخالقهما على أبدع نظام، وبارئهما على أحكم ترتيب، بكلمتك خلقتها، وبيدك أمرها، ولك القدرة عليها، وعلى أهلها ومن فيها، فأشار يوسف في ابتهاله لصفة الله الفاطر، فهو الفاطر للسموات والأرضين، وكل الموجودات أجمعين، فهو خالقها ومبدئها، ومنشئها ومخترعها، وهو من يرعاها، ويتعهدها بالحفظ والولاية E[61].

لذلك يقول عقب ذلك مباشرة (أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، أي: كن وليي في الدنيا والآخرة، فأنت الذي فطرتني، فإذاً لا تكون الولاية إلا لك سبحانك أنت الذي فطرت المخلوقات جميعا وفطرتني، فأنت وحدك وليي، ووليّ نعمتي في الدُّنيا والآخرة، أنت وحدك وليي وناصري في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء؛ لأنك فاطر للمخلوقات ومتولي أمرها وتليني في الآخرة بفضلك ورحمتك فلا حول لي في شيء منهما ولا قوة، أنت وحدك وليي، ومعيني، وصاحب أمري، ومتولي شأني ومتكفّل به في الدنيا والآخرة، فلا يصلح مهماتي في الدارين غيرك يا ولي الأولياء، وسيد الضعفاء والأقوياء، يا صاحب الأمر، فأنت المعتمد عليه بأن تصل لي الملك الفاني بالملك الباقي[62].

فعلّم الله يوسف وسائر الأنبياء ﷺ وأمرهم ألا يتخذوا وليا لهم غير الله ﷻ فاطر الأرض والسموات، وفاطر كل الموجودات، وأن يُعلموا أممهم هذا التوحيد الخالص[63].

فهذه مناجاةٌ من يوسف لربه، وتضرعٌ بين يديه، وتوكلٌ عليه، ليتوجه بعد ذلك بالدعاء، فقدّم الثناء على الدعاء، كذلك صفة أهل الولاء[64].

فكأنه يقول: ربِّ تلك نعمتك، وهذه قدرتك، يا من فطرتني وفطرت الخلائق كلها ـ وليس للمخلوق أن يخرج عن إرادة خالقه وفاطره ـ ربِّ إني لا أسألك سلطاناً ولا جاهاً، ولا صحة ولا مالاً، ربِّ إني أسألك ما هو أبقى وأغنى.

---

59) ينظر: التفسير الواضح2/205، وتفسير المراغي 43/13، وتفسير الطنطاوي7 /415.
60) ينظر: تفسير القرطبي 270/9، والبحر المديد629/2.
61) ينظر: تفسير الطبري 278/16، والتفسير الواضح 205/2.
62) ينظر: تفسير السمرقندي 211/2، وتفسير النسفي 136/2، والبحر المديد629/2، وتفسير المراغي 43/13، والتفسير الواضح 205/2.
63) ينظر: تفسير المنار 36/3.
64) ينظر: تفسير القشيري 2/ 210، والتيسير في أحاديث التفسير 309/3.

أسألك بأن تلحقني بصالح آبائي، وإخواني من النبيين والمرسلين، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن قبلهم، وغيرهم من صالحي خلقك[65]واحشرني معهم وفي زمرتهم[66]فأظفر بثوابهم منك، ودرجاتهم عندك فضلاً منك، ومِنّة وكرماً، فأنت الرحيم الكريم، الفاطر لكل شيء، والقادر على كل شيء[67].

وقد جَمعت هذه الآية الإقرار بالتوحيد والاستسلام لفاطر الموجودات وإظهار الافتقار إليه ـ فلن يستغني مخلوق عمن فطره طرفة عين ـ وكذلك البراءة من مُوالاة غيره ﷻ وكون الوفاة على حسن الخاتمة أعظم غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة الأتقياء السعداء[68].

الموضع الثالث:

في سورة إبراهيم، عند قوله : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[69].

قالت الرسل السابقون لأممهم مستنكرين شكهم في ربهم: أفي الله سبحانه شكّ، أفي وجوده شك وارتياب حتى تقولوا لنا: (وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)[70]، والفطر السليمة شاهدة عليه ومجبولة على الإقرار به، والاعتراف بوجوده، فالاعتراف به ضروري لدى كل ذي رأى حصيف، أفي قدرة الله شك؟ وأنتم متفقون عليها، وإن اختلفتم فيما عداها، أفي وحدانية الله شك، وعلامات وحدانيته ظاهرة أمامكم، وتعيشونها واقع في حياتكم؟ أفي ألوهية اللَّه شك؟ أو في عبادة اللَّه وتفرده بوجوب العبادة شك؟

وهذا الاستفهام معناه الإنكار، وأُدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه، لا في الشك فمورد الإنكار هو وقوع الشك في وجود الله، فقدم متعلق الشك للاهتمام به، ولو قال: أشك في الله، لم يكن له هذا الوقع، وكذلك لو جاء الخطاب خبريا بقوله "لا شك في الله" فقد يقول أحدهم: إن هذا الكلام كاذب، لذلك فقد جاء بهذا اللون من الخطاب الذي لا يترك لمَنْ توجه إليه الكلام إلا أنْ يُذعن للحجة، ويُقرّ بها[71].

فوجود الله ووحدانيته أمر لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة عليه، وظهور دلالتها، فكل شيء من المحسوسات والمعقولات تدل على وجوده ووحدانيته.

فالفطر السليمة تدل على وجوده، وتؤمن به، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فيُحتاج عند ذلك إلى التدبر والتفكر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق

---

[65]) والمتصفون بالصلاح: هم من التزم الطاعة، فأدى ما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، من أي جيل كان، قديما أو حديثا، فالعبرة بالعمل الصالح المقبول عند الله، لا بما سواه. ينظر التيسير في أحاديث التفسير 310/3.

[66]) قال الشيخ محمد رشيد رضا: "فهذا الدعاء العظيم، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فنسأله ـ تعالى ـ أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام". وكانت هذه هي آخر كلمات كتبها في تفسيره المنار، رحمه الله رحمة واسعة، وألحقنا به على الإسلام. ينظر مجلة المنار ـ المجلد 35.

[67]) ينظر: تفسير الطبري 278/16، والتفسير الوسيط للواحدي 636/2، وفتح القدير 67/3، والتفسير الواضح 205/2.

[68]) ينظر: التفسير القيم لابن القيم ص331.

[69]) سورة إبراهيم الآية 10.

[70]) سورة إبراهيم من الآية 9.

[71]) ينظر: تفسير القرطبي346/9، وتفسير ابن كثير 414/4، وتفسير البيضاوي 194/3، وتفسير السمرقندي 237/2، والتحرير والتنوير 198/13، والتفسير الوسيط 470/5، وتفسير الشعراوي 7451/12.

معرفته فلفت الرسل أنظار أقوامهم إلى صفة من صفات الله Φ تدل على ما قالوه، صفة لا يمكنهم إنكارها؛ لأنهم يشاهدونها ليل نهار، بل يحسونها ويعيشون معها لحظة بلحظة.

إنه فاطر السموات والأرض، وفاطر من فيهما من عوالم لا يحصيها إلا هو هل يشك عاقل في وجود السموات والأرض؟ فكيف يجوز عقلا الشك في من خلقهما ومن فيهما، في مخترعهما ومنشئهما وموجدهما بعد العدم، على غير مثال سبق؟ كيف يُشك في وحدانيته وقدرته؟ فشواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا الله هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه[72].

فيمكن أن يكون المعنى ههنا على الإضمار؛ أي: أفي وجود اللَّه ووحدانيته وألوهيته شك وأنتم تقرون أنه فاطر السموات والأرض، وتعلمون أنه خالقهما، وهو الأولى؛ لأن أغلب الأمم مؤمنة بأن الله هو الخالق (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)[73]، ويحتمل أن يكون على الاحتجاج؛ أي: أفي اللَّه شك وهو فاطر السموات والأرض.

وفَطره ﷻ للسموات والأرض ومن فيهما ممّا لا مجال للشك فيه لغاية ظهوره، إلا أن الإشارة إليه للتنبيه على قدرته، وأنه لا تجوز العبادة إلا له[74]. فالرسل ﷺ توجهوا إلى قومهم في تساؤل أفي الله شك والسموات والأرض تنطقان للفطرة بأن الله أبدعهما إبداعاً وأنشأهما إنشاء، على هذا الشكل الغريب، والإتقان العجيب فهذا الإتقان، وذلكم الإبداع، لا يصدر إلا من إله عظيم القدرة، باهر الحكمة، واحد في ألوهيته وملكه (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[75]

أفي الله شك والمخلوقات في السموات والأرض شاهدة بأن الله هو الذي فطرها، فلم تشاهدوا أحدا قد خلق شيئا، قالت رسلهم هذا القول؛ لأن السموات والأرض آيتان كبيرتان بارزتان، فلا أحدَ قادرٌ على أن يخلقَ مثل السموات والأرض، والله ﷻ هو مَنْ شاء أن يكون الإنسان سيداً لكل الكائنات المخلوقة، وأن تكون تلك الكائنات مُسخّرة لخدمته.

وقد يغترّ الإنسان، ويظنّ أن خَلْقه أكبر من خَلْق السموات والأرض؛ لذلك يُنبِّهه الحق ﷻ: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[76]

لذلك فمجرد الإشارة إليهما تردّ الشارد ـ إن كان سليم الفطرة ـ إلى الرشد سريعاً، فلم يزد الرسل على الإشارة شيئا؛ لأنها وحدها تكفي.

وجاءَ هذا الاستنكار والاحتجاج في محاجة الأَنبياءِ جميعا، فكل رسول من الرسل جعل نصب عينيه توجيه أُمته إلى التفكر والتدبر في السموات والأَرض، والتبصر في أَسرارهما، ليتعرفوا بذلك على وجود الخالق ووحدانيته، واتصافه بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص[77].

ثم وصف الأنبياء الله بكمال الرحمة فقالوا إن ربنا الذي فطركم وفطر ما سُخر لكم من مخلوقات، يدعوكم ليغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة.

---

[72]) ينظر: تفسير المظهري 257/5، وتفسير البيضاوي 194/3.
[73]) سورة العنكبوت الآية 61.
[74]) ينظر: تفسير الماتريدي 6/ 369 - 370، وتفسير القرطبي346/9.
[75]) سورة الأنبياء الآية 22.
[76]) سورة غافر 57.
[77]) ينظر: تفسير الشعراوي 12/ 7453، والتفسير الوسيط 470/5.

والدعوة أصلاً دعوة إلى الإيمان بالله، الإيمان بوحدانيته وسائر صفاته، والإيمان برسله والكتب المنزلة عليهم، إلى طاعة الله، والدعوة لنبذ الكفر والشرك بالله المؤدي إلى المغفرة والرضوان. ولكنّ الآية جاءت بالدعوة إلى أمر نافع في ذاته لَا يسوغ للعاقل أن يشكك فيه أو يرتاب، إنها الدعوة المباشرة للمغفرة، لتتجلى نعمة الله على عباده ومنته. وبذلك عجيباً مخالفا للفطرة أن يدعى قوم إلى المغفرة فيكون الرفض هو ردّهم، والتكذيب شأنهم.

يدعوهم على أَلسنة رسله، وشواهد آياته الكونية، وكتبه المنزلة، ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وضياء التوحيد، ليغفر لهم بعض الذنوب بالعفو عنها، ويمحو لهم بعض ما اقترفوه من آثام فلا يعاقبهم عليها ويؤخر آجالكم، فلا يعاقبكم في العاجل فيهلككم، ويدفع عنهم عذاب الاستئصال إن آمنوا ويؤخرهم في الحياة إلى أجل معتاد.

فسبحانك ربنا ما أرحمك، سبحانك ربنا ما أعدلك، سبحانك ربنا ما أعظمك.

الموضع الرابع:

في سورة فاطر، عند قوله : (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[78].

بدأ الله ﷻ السورة بتقديم الحمد له[79]؛ لأنها سورة تقوم على توجيه القلب إلى الله، وإيقاظه لرؤية آلائه، واستشعار رحمته وفضله، فهو ﷻ يذكر صفته الدالة على الخلق، والإيجاد، والإبداع.

(فاطِرِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ)، يجوز في "فاطر" من حيث اللغة ثلاثة أوجه: الخفض على النعت، والرفع خبر لمبتدأ محذوف، والنصب على المدح.

فالشكر الكامل لله، والثناء الجميل للذي ابتدع خلق السموات والأرض، وأنشأ هذه الخلائق الهائلة التي نراها من فوقنا، ويمسكها لئلا تقع علينا، ومن تحتنا حيث كنا فبسطها ويسّر لنا السير عليها، ولو شاء لكانت كلها قيعانا ونتوءا لا تصلح للسير أو العيش، أوجدها E وأبدعها من غيرِ مثالٍ يَحتذيه، ولا قانونٍ ينتحيهِ فلا يمكن للعقل البشري أن يدرك سعة هذا الكون، ولا شدة تناسبه مع بعضه التي لو اختلت هذه النسب لاختل نظام الكون، فإذا لم يدرك ما يراه من فوقه وتحته وعن يمينه وعن شماله، فلا غرابة إن لم يدرك عظم المخلوقات الغيبية من ملائكة وما جعل الله لها من أجنحة مثنى وثلاث ورباع[80].

وقد خصّ الله ذكر الملائكة من بين مخلوقات السموات والأرض لعظيم خلقهم، ولشرفهم بأنهم سكان السموات[81].

---

[78]) سورة فاطر الآية 1.

[79]) (الحمدله) لفظ يشير إلى جملة (الحمد لله)، وهو ما يسميه أهل اللغة بالنحت، ومعناه: بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينة في المعنى والصورة، وبحيث تكون الكلمة الجديدة آخِذة منها جميعًا بحظ في اللفظ، دالَّة عليها جميعًا في المعنى، ومن أمثلة النحت: (بسمل)؛ أي: قال: (بسم الله الرحمن الرحيم)، و(حوقل) أي قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).
ينظر: العين، 60/1، والنحت في اللغة العربية، ص67، وفقه اللغة العربية، إبراهيم نجا، ص56، وفقه اللغة، إبراهيم أبو سكين، ص24.

[80]) ينظر: تفسير القرطبي 419/14، وتفسير أبي السعود 141/7، والهداية5947/9.

[81]) ينظر: التحرير والتنوير 248/22 ـ 249.

ولعظم اسم فاطر وصفته فقد سُميت هذه السورة باسم "سورة فاطر"، وذلك لوجود هذا الاسم الجليل، والنعت الجميل في أولها، هذا الوصف الذي يدل على الخلق، والإبداع على غير مثال سابق، فهو يُشير إلى عظمة الله، وعظيم قُدرته، وعجيب صُنْعه، فالله الذي ابتدأ خلق السموات والأرض، وفطرهن على هذا الخلْق الجميل، وهو المحافظ عليه، الحفيظ له (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)[82]، وهو E قد زين الأرض بالجبال والهضاب والبحار (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[83]، وجعل فيها من الخلائق ما يشاء ليعيشوا عليها، ويُعمّروها (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ)[84]، وزين السماء بالنجوم والكواكب، وخلق فيها خلْقا غير البشر، ليسكنوها ويُعمروها بذكر الله والعبادة، وهم الملائكة الأبرار، فأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب، فقد خلقهم الله من نور، وجعل لهم من الأجنحة مثنى وثلاث ورباع، وما يشاء E، ومع ما في هذا الكون من مخلوقات واتساع لا يغيب عنه مثقال ذرة، ولا يعجزه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)[85]، (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[86] فتبارك الله أحسن الخالقين.

الموضع الخامس:

في سورة الزمر، عند قوله Φ: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[87]

أي: ادع أنت يا محمد ادع الله وحده لا شريك له، الذي خلق السماوات والأرض وفطرها، أي: وجعلها على غير مثال سبق، أدعوك يا الله أنت عالم الغيب والشهادة، والسر والعلانية، وأنت يا من فطر السموات والأرض وفطر الخلائق تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون في دنياهم، وستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم[88].

وقد كان يفتتح بهذا الدعاء في صلاة الليل، قالت عائشة ϑ عندما سُئلت بأي شيء كان رسول الله يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بقوله: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"[89].

فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً، وإلى شريعة الله وحدها قانوناً، وإلى منهج الله وحده نظاماً، حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية والنظم الأرضية والشرائع الأرضية هشوا وبشوا ورحبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد، هؤلاء هم بعينهم الذين يصور الله نموذجاً

---

[82]) سورة فاطر من الآية 41.
[83]) سورة فاطر من الآية 27.
[84]) سورة فاطر من الآية 28.
[85]) سورة فاطر من الآية 44.
[86]) سورة يونس من الآية61.
[87]) سورة الزمر الآية 46.
[88]) ينظر تفسير ابن كثير 463/4.
[89]) رواه مسلم في صحيحه،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، 534/1.

منهم في هذه الآية، وهم بذاتهم في كل زمان ومكان، هم الممسوخوا الفطرة، المنحرفو الطبيعة، الضالون المضلون، مهما تنوعت البيئات والأزمنة، ومهما تنوعت الأجناس والأقوام.

والجواب على هذا المسخ والانحراف والضلال هو ما لقنه الله لرسوله في مواجهة مثل هذه الحال: "قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون".

إنه دعاء الفطرة التي ترى السماء والأرض، ويتعذر عليها أن تجد لها خالقاً إلا الله فاطر السموات والأرض، فتتجه إليه بالاعتراف والإقرار، وتعرفه بصفته اللائقة بفاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة المطلع على الغائب والحاضر، والباطن والظاهر، أنت تحكم بين عبادك وتفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فهو وحده الحكم يوم يرجعون إليه، وهم لا بد راجعون[90].

الموضع السادس:

في سورة الشورى، عند قوله ﷻ: (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[91].

والله Φ ها هنا يبيّن من هو الإله الحق الذي يجب التحاكم إليه، ويزيد هذه الحقيقة استقراراً وتمكيناً، بقوله: (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أي: هو فاطر مبدع ومنشئ على غير مثال سابق E، وفطر السموات وأنشأها أول إنشاء، فلم يكن هناك سماء قبل هذه السماء التي خلقها الله، ولم يكن هناك أرض قبل الأرض التي خلقها الله ﷻ، فهو فاطرها ومنشئها أول مرة على غير مثال سابق، لا يقلد، وعادة المخترعين في الدنيا أن يقلد كل منهم الآخر، فيطور شيئاً فشيئاً، فتجد الآلة كان لها أصل، فهم لما فكروا في صناعة الطائرة التي تطير في السماء، كان ذلك محاولة لتقليد الطيور، فالإنسان لم يأت بفكرة الطيران من رأسه، وإنما وجد أمامه طيراً فحاول أن يقلده وأن يطير، فهو لم يفطر هذا الشيء وإنما قلد ما خلقه الله ﷻ، ثم طور شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى بعض ما يريد، لكن الله ﷻ خلق السموات على غير مثال سابق، فلم تكن سموات قبل ذلك.

وقوله : (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)، أي: جعل حلائلكم ونساءكم من أنفسكم.

وقوله: (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) فيها معنيان صحيحان: الأول: من أصلكم وهو آدم على نبينا وO، خلقه الله ، وخلق حواء من ضلع من أضلاع آدم، فحواء من آدم من جنسه.

المعنى الثاني: جعل لكم من جنسكم من الإنس من البشر النساء، ولم يجعل لكم النساء من الجن، بل جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة.

ثم قال: (وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) أي: ملككم هذه الأنعام وجعل للأنعام من أنفسها أزواجاً، وهي أصناف وأنواع وأشكال، وجعل منها الذكر والأنثى.

ثم قال: (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) أي: يبث وينشر ويخلق ويكثر، فيجعلكم كثيرين في هذا الخلق الذي خلقه، كثيراً من الناس، كثيراً من الدواب والحيوان والطيور، فهو سبحانه يبثكم وينشركم ويجعلكم في هذه الدنيا كثيرين.

وختم الآية بقوله ﷻ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أي: ليس مثلَ مثله شيء، فلا شيء في خلق الله ﷻ يشبه ربه ﷻ في صفاته وفي قدرته ﷻ، وفي ذاته ﷻ.

---

[90]) ينظر: والتفسير الوسيط 232/12 - 233، والتفسير الميسر 462/1 - 463.
[91]) سورة الشورى الآية 11.

وإن اشترك معه المخلوق في شيء من الصفات في المسمى فهو اشتراك في التسمية نفسها، فالله حي، والمخلوق حي، وحياة المخلوق حياة ضعيفة ومحدودة بهذا المخلوق، والله الحي ﷻ الذي لا يموت، والمخلوق يعتريه الموت.

والله هو السميع البصير، له الأسماء الحسنى وله الصفات العلى، لا يشبهه فيها شيء أبداً، والإنسان يسمع ويبصر، وقس على ذلك كل صفات الله التي يجوز أن يوصف مخلوق بشيء منها، فالمخلوق يسمع ويرى ويتكلم، فهذه الصفات للمخلوق هي محدودة تليق بضعفه وعجزه، أما الله فله الصفات التي تليق به ، فهو الحي القيوم وهو الرب ﷻ، ولذلك هنا نفى وأثبت فقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، أي: لا شيء يشبه الله ، ثم حتى لا تقدم على النفي المطلق فتنفي كل شيء عن الله قال: (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) أي: له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولكن لا يشبهه شيء في سمعه ولا في بصره ، ولا في صفاته .

وهنا إشارة عظيمة من فاطر السموات والأرض أنه يسمع ويبصر ﷻ (وهو السميع البصير) ثم هو ﷻ يحكم حكم السميع البصير جلت قدرته، وتعالى جدّه[92].

المطلب الخامس

حُكم قول الإنسان أنا فاطر، عندما يُسأل هل أنت صائم؟

وهذه المسالة من المسائل التي يكثر اللغط حولها، فنجد بعض أهل العلم من يُخطئ هذا القول، ويقول إن الصواب أن يُقال: مُفطر[93]، ونجد كثيرا من العوام من يُخطئ هذا القول، بل بعضهم يجنح بالمنع لدرجة وصف القائل بأنه قد أشرك بالله، إذ وصف نفسه بصفة لله ﷻ فأحببت أن أفرد لها مبحثا خاصا في البحث، وطبيعة هذه المسألة تُحتم عليّ أن أُقسم المبحث إلى مسائل.

المسألة الأولى: هل يصح اشتقاق اسم الفاعل "فاطِر" من الفعل فَطَرَ؟

فَطَرَ الصائم يَفْطُر فُطُوراً: أَكَلَ وشَرِب، كأَفْطَر، وفَطَرْتُه وفَطَّرْتُه، بالتشديد، وأَفْطَرْتُه، والفِطْرُ: نَقيض الصوم، وقد أَفْطَرَ، وفَطَرَ، وأَفْطَرَه، وفَطَّرَه[94].

وفطَرَ يَفطُر، فَطْرًا، فهو فاطِر، والمفعول مَفْطور، وفطَّرَ يفطِّر، تفطيرًا، فهو مُفَطِّر، والمفعول مُفَطَّر، فطَّر فلانًا: قدم له وجبة الصّباح أو وجبة الإفطار في رمضان[95].

ويتبين مما سبق أن الفعل الثلاثي المجرد "فَطَر" يستعمل استعمال الفعل الرباعي "أفْطَر" وهو بمعنى الذي قطع صيامه بتناول مفطرات، وكلمة "فاطر" اسم فاعل من فطر.

والفعل الثلاثي إذا كان على وزن فَعَل ـ بفتح العين ـ جاء اسم الفاعل منه غالبا على وزن فاعل، وأما من غير الثلاثي فاسم الفاعل منه على وزن المضارع بعد زيادة ميم في أوله مضمومة، ويكسر ما قبل آخره[96]، فالفعل "أفطر"، اسم الفاعل منه: مُفطِر، وقد جاء من أفعل على فاعِل، نحو أعْشَب المكان فهو

---

92) ينظر: التفسير الوسيط 14/13 - 15، والتفسير الميسر 483/1 - 484، وتفسير أحمد حطيبة 415/6 - 417.

93) ينظر على سبيل المثال: جواب الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عضو مكتب الدعوة والإرشاد بالسعودية في موقعه

94) ينظر: المحكم لابن سيده مادة فطر، والقاموس المحيط مادة فطر، وتاج العروس مادة فطر.

95) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة مادة فطر.

96) وقد شَذّ من ذلك ثلاثة ألفاظ، وهي أسْهَب فهو مُسْهَب، وأحْصَن فهو مُحْصَن، وألفج بمعنى أفلس فهو مُلْفَج، بفتح ما قبل الآخر فيها. ينظر: شذا العرف في فن الصرف ص62.

عاشِب، وأورَس فهو وارس[97]، وأيفع الغلام فهو يافع[98]، وبناء على ذلك يصح أن يقال: فَطَر الصائم فهو فاطر، كما يقال: أفْطَر فهو مُفطِر[99].

المسألة الثانية: هل فاطر اسم من أسماء الله أم أنه صفة له ؟

الفاطر: هو من صفات الله الحسنى، وعدّه بعض العلماء من أسماء الله الحسنى، ولم يعده أغلب العلماء من الأسماء الحسنى؛ لأنه ورد في القرآن والأحاديث مضافًا (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)[100] ولم يرد مستقلًا، ومعناه: الذي فطر الخلق وابتدأ خلقهم.

فلا يمكن اعتباره اسما لله ﷻ، ذلك أن أسماء الله توقيفية، فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه، قال ابن تيميَّة: "الأسماء الحُسنى المعروفة هي التي يُدْعَى الله بها، وهي التي جاءتْ في الكتاب والسُّنة، وهي التي تقتضي المدحَ والثناءَ بنفسها"[101] فكل اسم لله ﷻ يتضمن صفة، قال ابن القيم: "أسماء الربِّ تَعالى هي أسماءٌ ونعوت، فإنَّها دالةٌ على صِفات كماله، فلا تَنافيَ فيها بين العلميَّة والوصفية، فالرحمن اسمُه تعالى ووصفُه لا تُنافي اسميتُه وصْفيّتَه، فمن حيثُ هو صفةٌ جرى تابعًا على اسمِ الله، ومن حيث هو اسمٌ ورَدَ في القرآن غير تابع، بل ورودَ الاسم العَلَم"[102].

وليس كل صفة لله يُمكن أن يُشتق منها اسم، ذلك أن هناك أفعالا، وأوصافا، أطلقها الله Δ على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، ولو اشتُق منها اسم لكان فيها احتمال الذم كبيراً[103].

المسألة الثالثة: هل يصح إطلاق هذا الوصف على البشر، أم أنه يخْتص بالله ﷻ؟

لا شك أنه ينبغي للمسلم أن يحرص كل الحرص على سلامة عقيدته من كل ما يخدشها، ولا يُمكن له ذلك إلا بالتعلم، والاشتراك في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نُهينا عنه، وقد أثبتَ الله لنفسهِ السمع والبصر قال ﷻ: (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)[104]، وأثبتهما كذلك للمخلوقين حيثُ قال: (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)[105] ووصف نفسه ﷻ بأنه رؤوف رحيم فقال ﷻ: (وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)، ووصف نبيه □ بهما كذلك فقال ﷻ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[106]، وهذا لا يقتضي التشبيه ولا المماثلة، والقاعدة التي ننطلق منها (كما أن لله ذاتًا لا تشبه الذوات فصفاته كذلك لا تشبهُ الصفات)، فما يثبت لله من أسماء وصفات تليق بذاته ﷻ وما يثبت للبشر مناسب لحالهم.

وقد قسم العلماء أسماء الله ﷻ إلى قسمين: قسم لا تختص به ﷻ، ويجوز إطلاقها على البشر، والقسم الثاني: أسماء مختصة به ﷻ ، لا تطلق إلا عليه ﷻ كاسم الله واسم الرحمن[107].

---

97) الوَرْسُ نبت أصفر يظهر باليمن، وإذا أصاب الثوبَ لَوَّنَه، ووَرَّست الثوْب تَوْرِيساً صبغته بالوَرْس. ينظر: لسان العرب مادة وَرَسَ.

98) ينظر: الكناش في فني النحو والصرف 326/1 - 327، وشذا العرف في فن الصرف ص62.

99) ينظر: معجم الصواب اللغوي الجذر "فطر" كلمة "فاطر، وفطور".

100) سورة فاطر من الآية 1.

101) شرْح العقيدة الأصفهانية ص 19.

102) بدائع الفوائد 28/1.

103) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص13، والعقيدة في الله ص209 - 211.

104) سورة النساء من الآية 134.

105) سورة الإنسان من الآية 2.

106) سورة التوبة الآية 128.

107) ينظر: لسان العرب مادة رحم فقد ذكر هناك أقوال أهل العلم في هذه المسألة، والتحرير والتنوير 236/16.

والتسمي باسم من أسماء الله ﷻ يجوز إذا لم يكن هذا الاسم مما يختص به الله ﷻ، أو لم يكن محلّى بأل، أو لم يكن يحمل معنى الصفة عند إطلاقه على البشر، كما حدث لأبي شُريح I عندما غيّر النبي كنيته، ذلك أنه "لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ"[108] فيجوز أن يتسمى العبد باسم: رحيم، كريم، عزيز، قوي، وهكذا، ومن هذا اسم فاطر، فاسم الفاعل "فاطر"، ليس هو من الألفاظ المختصة بجانب الله بل قد تطلق في حق غيره، وهو لفظ يطلق على الخلق والإبداع، ويطلق كذلك على ابتداء عمل الشيء، فوصف الإنسان نفسه بأنه فاطر لا يراد به نفس الوصف المضاف إلى الله ﷻ ولا يتبادر إلى ذهن السامع المعنى المختص بالله [109].

واسم فاطر لم يرد في القرآن إلا مضافًا، قال ﷻ: (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)[110]، ولم يرد مجردًا من الإضافة، فمعناه مرتبط بما يضاف إليه، فإن أضفته إلى السموات والأرض والخلق كان معناه ابتداء الشيء على غير مثال سابق، وهذا مختص بالله، وإن أضفته إلى المخلوق أريد به إحداث الشيء، أو إظهاره، أو فتحه، أو غير ذلك من معاني اللغة، كما قال ابن عباس : "كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتى أعرابيان يختصمان، فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها"[111]، ولو كان إطلاق هذا الوصف في حق البشر ممنوعا لنهاهما ابن عباس ، وقال ابن منظور: "وذكر أَبو العباس أَنه سمع ابن الأَعرابي يقول: أَنا أَول من فَطَرَ هذا، أَي: ابتدأَه"[112].

---

[108]) رواه أبو داوود في سننه كتاب الطهارة ـ باب في تغيير الاسم القبيح والحاكم في المستدرك 75/1 رقم 62 وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد 302/1.

[109]) ينظر: معجم المناهي اللفظية ص34 - 35.

[110]) سورة فاطر من الآية 1.

[111]) تقدم تخريجه.

[112]) ينظر: لسان العرب مادة فطر.

الخاتمة"

الحمد لله فاطر السماوات والأراضين، أحمده جعلنا على الفطرة السوية فكنا مسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فطره ربه على الأخلاق الحسنة فكان خير خلقه أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين..

أما بعد:

ففي ختام هذا البحث لا يسعني إلا أن أقول: إن هذا القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يُدرك قعره، وكلما غاص فيه الباحث أدرك عمقه وسعته، كيف لا؟ وهو كلام ربي الذي وسع كل شيء علما.

وأنا على يقين أن لفظ "فاطر" الذي تناولْته في هذا البحث، لا يزال حديقة غناء لمن يريد الاستزادة من جوانب عدة. وفيما يأتي النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

ورد لفظ الجذر "فطر" في القرآن الكريم عشرين مرة، لم يتكرر إلا في سورتين هما (الأنعام، والشورى)، والملاحظ أن كل السور التي ذكر فيها هذا اللفظ كانت سورا مكية.

وقد جاء الجذر "فطر" بألفاظ مختلفة، تعددت فيها المعاني، وتنوعت فيها المفاهيم.

فجاء بمعنى ابتداء الخلق وإنشائه، وجاء بمعنى الخِلْقة والسجية والطِباع، وجاء بمعنى الشقّوق والصدوع، وجاء بمعنى الانفجار والانشقاق المُفاجئ.

توصية:

وإن كان من توصية في ختام البحث فهي: "هلمّوا يا طلاب، لدراسة التفسير الموضوعي، سواء أكان الذي يدرس موضوعا معينا، أم الذي يدرس لفظا مخصوصا، فكلا الأمرين محتاج لكثير بحث، وكبير همة تفنى الأعمار فيها، وحبذا عمر قد فني في كتاب الله

وختاماً:

أتوجه لله ﷻ أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصا له ﷻ، وأن يبارك فيمن كان سببا في دراسته.

سائلاً له ﷻ أن يبارك لي في الوقت والعمل، وأن يغفر لي الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مصادر البحث ومراجعه:

ـ القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.

ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ـ أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي ـ ت: أحمد عبد الله القرشي ـ الناشر: حسن عباس زكي ـ القاهرة ـ مصر ـ 1419 هـ.

ـ التبيان في إعراب القرآن ـ أبو البقاء عبد الله العكبري ـ ت: علي البجاوي ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون ذكر ط: ولا سنة النشر.

ـ التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ـ محمد الطاهر عاشور التونسي ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ 1984م.

ـ التفسير القرآني للقرآن ـ عبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

ـ التفسير الواضح ـ محمد محمود الحجازي ـ دار الجيل الجديد ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: العاشرة ـ 1413 هـ.

ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ـ أبو الفضل الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ـ دار الكتب العلمية ـ ط: الأولى ـ 1419هـ ـ 1989م.

ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ أبو عمر يوسف بن عبد البر ـ ت: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري ـ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ـ 1387هـ.

ـ التيسير في أحاديث التفسير ـ محمد المكي الناصري ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1405 هـ ـ 1985م.

ـ السنن الكبرى ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَسائي ـ ت: حسن عبد المنعم شلبي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1421 هـ ـ 2001م.

ـ العقيدة في الله ـ عمر بن سليمان الأشقر ـ دار النفائس للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ ط: الثانية عشر ـ 1419 هـ ـ 1999م.

ـ العين ـ الخليل بن أحمد ـ ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط: دار الرشيد، بغداد، 1980م.

ـ الفروق اللغوية ـ أبو هلال الحسن بن مهران العسكري ـ ت: محمد إبراهيم سليم ـ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر.

ـ القاموس المحيط ـ أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادى ـ ت: مكتب ت التراث في مؤسسة الرسالة ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الثامنة ـ 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ـ محمد بن صالح العثيمين ـ الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ ط: الثالثة ـ 1421هـ ـ2001م.

ـ الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ـ أبو القاسم يوسف بن علي الهُذَلي اليشكري ـ ت: جمال بن السيد ـ مؤسسة سما للتوزيع والنشر ـ ط: الأولى ـ 1428 هـ ـ 2007 م.

ـ الكناش في فني النحو والصرف ـ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه ـ ت: رياض بن حسن الخوام ـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ 2000 م.

ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ـ أبو موسى محمد بن عمر الأصبهاني المديني ـ ت: عبد الكريم العزباوي ـ دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع ـ جدة ـ السعودية ـ ط: الأولى ـ 1986 م.

ـ المحكم والمحيط الأعظم ـ أبو الحسن علي بن سيده ـ ت: عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1421 هـ ـ 2000 م.

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ أبو العباس أحمد الفيومي ثم الحموي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

ـ المغرب في ترتيب المعرب ـ أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ ـ دار الكتاب العربي.

ـ المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الراغب الأصفهانى ـ ت ـ صفوان عدنان الداودي ـ دار القلم ـ دمشق ـ سوريا ـ ط: الأولى ـ 1412 هـ.

ـ النحت في اللغة العربية ـ نهاد الموسى ـ ط: الأولى ـ دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ـ سنة 1405هـ.

ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ـ ت: عادل عبد الموجود، وآخرون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1415 هـ ـ 1994م.

ـ بدائع الفوائد ـ شمس الدين ابن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي ـ ت: مجموعة من المحققين ـ دار الهداية.

ـ تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" ـ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

ـ تفسير أبي حيان "البحر المحيط في التفسير" ـ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ـ ت: صدقي محمد جميل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ 1420 هـ.

ـ تفسير أحمد حطيبة، دروس صوتية للشيخ أحمد حطيبة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ـ المكتبة الشاملة.

ـ تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ـ أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي ـ ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1418 هـ.

ـ تفسير الرازي "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير" ـ أبو عبد الله فخر الدين الرازي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط: الثالثة ـ 1420 هـ.

ـ تفسير السمرقندي "بحر العلوم" ـ أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي ـ دار الكتب العلمية.

ـ تفسير الشوكاني "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير"ـ محمد بن علي الشوكاني ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ سوريا ـ ط: الأولى ـ 1414 هـ.

ـ تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن" ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ت: أحمد شاكر ـ مؤسسة الرسالة ـ ط: الأولى ـ 1420 هـ ـ 2000 م.

ـ تفسير الطنطاوي "التفسير الوسيط للقرآن الكريم" ـ محمد سيد طنطاوي ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ مصر ـ ط: الأولى ـ 1998م.

ـ تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ـ ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ـ دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط: الثانية ـ 1384هـ ـ 1964م.

ـ تفسير القشيري "لطائف الإشارات" ـ عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ ت: إبراهيم البسيوني ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ـ ط: الثالثة.

ـ تفسير القيم ـ شمس الدين ابن قيم الجوزية ـ ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط: الأولى ـ 1410هـ.

ـ تفسير المراغي ـ أحمد بن مصطفى المراغي ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط: الأولى ـ 1365 هـ ـ 1946م.

ـ تفسير المنار "تفسير القرآن الحكيم" ـ محمد رشيد رضا ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1990م.

ـ تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ـ أبو البركات حافظ الدين النسفي ـ ت: يوسف علي بديوي ـ دار الكلم الطيب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1419 هـ ـ 1998م.

ـ تفسير النيسابوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ـ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ـ ت: زكريا عميرات ـ دار الكتب العلميه ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1416 هـ.

ـ الهداية إلى بلوغ النهاية ـ مكي بن أبي طالب القيسي ـ جامعة الشارقة ـ كلية الدراسات العليا.

ـ تفسير مقاتل بن سليمان ـ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي ـ ت: عبد الله شحاته ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1423 هـ.

ـ تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد الأزهري ـ ت: محمد عوض مرعب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 2001م.

ـ زهرة التفاسير ـ محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني ـ ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان.

ـ شذا العرف في فن الصرف ـ أحمد بن محمد الحملاوي ـ ت: نصر الله عبد الرحمن ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ السعودية.

ـ شرح السنة ـ أبو محمد الحسين البغوي ـ ت: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الثانية ـ 1403هـ ـ 1983م.

ـ شرح العقيدة الأصفهانية ـ أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ـ ت: محمد بن رياض الأحمد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1425هـ.

ـ شعب الإيمان ـ أبو بكر البيهقي ـ ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط: الأولى ـ 1423 هـ ـ 2003م.

ـ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ـ حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ـ دار الصديق للنشر والتوزيع ـ ط: الرابعة ـ 1418 هـ ـ 1997م.

ـ صحيح البخاري ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ دار طوق النجاة ـ ط: الأولى ـ 1422هـ.

ـ صحيح مسلم ـ أبو الحسن مسلم بن الحجاج ـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

ـ طرح التثريب في شرح التقريب ـ أبو الفضل زين الدين بن إبراهيم العراقي ـ ط: المصرية القديمة.

ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـ أبو العباس شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي ـ ت: عبد السلام التونجي ـ جمعية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ـ ليبيا ـ ط: الأولى ـ 1995م.

ـ غريب القرآن لابن قتيبة ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ ت: أحمد صقر ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ 1398هـ ـ 1978م.

ـ دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة ـ إبراهيم محمد أبو سكين ـ ط: الزهراء ـ القاهرة ـ مصر.

ـ فقه اللغة العربية ـ إبراهيم محمد نجا ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ 2008م.

ـ لسان العرب ـ أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الثالثة ـ 1414هـ.

ـ مجلة المنار ـ لصاحبها محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار ـ 1315هـ.

ـ معاني القرآن وإعرابه ـ أبو إسحاق إبراهيم الزجاج ـ ت: عبد الجليل عبده شلبي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى ـ 1408 هـ ـ 1988 م.

ـ معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ـ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ مصر ـ ط: الأولى ـ 1429 هـ ـ 2008 م.

ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ أحمد مختار عبد الحميد عمر وبمساعدة فريق عمل ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ مصر ـ ط: الأولى ـ 1429 هـ ـ 2008 م.

ـ معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ ـ بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط: الثالثة ـ 1417 هـ ـ 1996 م.